ماجد سعيد

باحث من العراق

الغزو الثقافي الصهيوني .. دراسة في أبعاده وسبل مواجهته

بعد مضي أكثر من عشرين عاماً على توقيع معاهدة «السلام» بين الكيان الصهيوني ومصر تحت رعاية الولايات المتحدة، الا أنّ الدوائر الاميركية المتخصصة بشؤون الشرق الأوسط والخبراء المهتمين بهذه الشؤون يعتقدون أن أثر هذه المعاهدة لم ينشر ظلاله على الجانبين، وبقيت العلاقات بين الطرفين غير جادة تماماً، حيث يسودها الفتور الشديد، الذي يحول دون احراز أي تقدم على صعيد التعاون المتبادل.

والسبب يعود في ذلك ـ كما تراه تلك الدوائر ـ إلى وجود عقبة «هائلة» تصطدم بها حركة «السلام» دائماً، ولم يمكنها تجاوزها طالما بقيت الأمور على هذا المنوال، ألا وهي الثقافة الاسلامية التي يحملها الشعب المصري، التي ترى نفسها في مواجهة مع ثقافة العدو الصهيوني.

وفي إثر ذلك أقام معهد الدراسات الأميركي الخاص بوسائل الاعلام ندوة واسعة تحت عنوان «مقاومة السلام وأسبابه السايكولوجية»، حضرها جماعة من المتخصصين في هذا المجال، من علماء النفس وخبراء استراتجيين وأساتذة العلوم السياسية من أميركا ومصر والكيان الصهيوني. وقد تم بحث أبعاد المقاومة الوطنية لعملية «السلام»، ودراسة أسباب ديمومتها وسبل علاجها، حيث توصلوا إلى نتيجة مفادها: ضرورة توجيه الثقافة العامة، ثم الرأي العام باتجاه، بحيث يخدم عملية «السلام» ويوافق مصالحها الثابتة.

وقد أدرك مستشارو الكيان الصهيوني وخبراؤه العاملون في فلكه هذه الحقيقة جيداً، فشرعوا بتأسيس برنامج عمل دقيق يتم من خلاله نقل الصراع من الجبهات العسكرية والسياسية إلى جبهة أخرى بعيدة عن تلك الجبهتين، ألا وهي الجبهة «الثقافية»، ومحاولة فرض الحصار على الثقافة الإسلامية التي تتمسك بها شعوب المنطقة، واستبدالها بثقافة مستوردة تسمح بإحلال النظام العالمي الجديد في منطقة الشرق الأوسط الإسلامي.

ومما يساعد على تثبيت أركان هذه العملية وجود عاملين مهمين:

الأول: الوجود الأميركي في المنطقة الذي يمكنه ممارسة الضغوط التي تلعب دورها الكبير في إنجاز ما لا يمكن انجازه في غير هذه الحالة.

الثاني: حالة الاستسلام التي يعيشها بعض حكام المسلمين، والتي من شأنها أن تمنح عملية «السلام» ضمانات كافية على طول مسار مراحلها المتعددة.

الخطة الاميركية ـ الصهيونية

ويمكن تلخيص هذه الخطة كالتالي:

١ـ محاولة السيطرة على وسائل الاعلام في العالم، وبسط النفوذ على وكالات الأنباء العالمية وشبكات التلفزة المشهورة والمحطات الفضائية المعروفة. إذ من خلال السيطرة على هذه الوسائل ستتم الهيمنة على أذهان وافكار الشعوب، وبالتالي دسّ ما تريد قوله وحذف ما لا ترغب فيه، وهذا يعني السيطرة الكاملة على الأجواء الثقافية للشعوب، وخاصة شعوب المنطقة المعنية بعملية «السلام».

٢ـ إقامة الندوات والمؤتمرات للبحث في هذه القضية، والعمل على تهيئة الدراسات والبحوث المتعلقة في هذا المجال، والمطالبة باقتراحات جديدة من المجتمعين والمؤتمرين، يمكن ان تكون ذات مبنى يتمّ الاستفادة منه في هذا الخصوص.

٣ـ تهيئة ميزانية هائلة تغطي مراحل الخطة، وصرف جزء كبير منها في تأسيس المعاهد والمراكز الفنية والعلمية والأكاديمية النشطة في الشرق الأوسط.

فقد أعلن شمعون بيريز في أحد لقاءاته: أن ٤٠٪ من ميزانية اسرائيل خصصت للمجال الثقافي والبحث العلمي. وأضاف: واذا حل زمن «السلام» فيجب مضاعفة هذه النسبة.[١]

٤ـ توسيع دائرة العلاقات مع الفنانين والمثقفين العرب والمسلمين، وتهيئة الأجواء لعمليات اللقاء، وفتح القنوات معهم، لتنظيم «تجمعات ثقافية» أو «رابطات اقليمية» وما شابه ذلك.

٥ـ تنمية السياحة الاسرائيلية، والاهتمام بها بالشكل الذي يتسنى للزائرين والسواح ان يتعرفوا على الثقافة والاداب «الصهيونية»، وبالمقابل تنظيم رحلات «السواح» الصهاينة لاختراق المناطق السياحية العربية الإسلامية بعناوين مختلفة.

تسخير وسائل الإعلام العربية لعملية التطبيع

من الأساليب المهمة التي يتبعها الصهاينة في عملية الاختراق الثقافي هو الاستفادة من وسائل الإعلام العربية والإسلامية، والتي من خلالها يسعى هذا الكيان الغاصب إلى تطبيع العلاقات الثقافية بينه وبين الأطراف العربية الإسلامية، والتقليل من شدة العداء والحساسية التي يكنّها المسلمون تجاه الصهاينة الغاصبين.

فبعض مدراء وسائل الاعلام العرب «جعلوا من أنفسهم جسوراً لتمرير مخطط التطبيع» وذلك بسبب ارتباطهم المشبوه أو لافتقادهم الرؤية الصحيحة، فكانوا من الممهدين للغزو الثقافي الصهيوني البغيض.

وقد رصدت مشاهدات كثيرة تدلّ على ما نذهب اليه:

منها: إستبدال الخطاب الإعلامي الهادر بالغضب والمشبّع بالعداء لهذا

الكيان الغاصب بخطاب آخر يحمل بين طياته الود والرغبة في التقارب، كما هو واضح لأدنى تتبع.

ومنها: ما حصل من التغطية الإعلامية الواسعة لوقائع الاتفاق الذي جرى مؤخراً بين الأردن والكيان الصهيوني المحتل من قبل الكثير من شبكات التلفزة العربية والمحطّات الإذاعية، والصحف الرئيسية الناطقة بالعربية.

بل انّ بعض الشبكات التلفزيونية قامت باجراء لقاء مع رئيس الوزراء الصهيوني شخصياً، وبثه بصورة مباشرة عبر محطاتها الأثيرية! اضافة إلى بعض الصحف التي تجاوزت بعض الخطوط الحمراء لتنشر لقاء صحفياً ممتعاً! مع شخص رئيس الوزراء الاسرائيلي، كالذي أجرته صحيفة «الحياة» اللبنانية، وما أجرته صحيفة «الشرق» الصادرة في قطر مع اسحاق رابين والذي اعتبرت «بادرة طيبة» تستحق الثناء عليها![٢]

وقد تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد اندفعت «نخبة» من المثقفين العرب إلى إقامة الندوات واللقاءات «الودية»، وتحت عناوين مختلفة مع «المثقفين» الصهاينة للبحث في مسألة «التواصل الثقافي» و«الانفتاح الحضاري»... وما إلى ذلك.

من قبيل الندوة التي أقيمت في شهر نيسان من عام ١٩٩٦م، والتي حضرها ثلاثة من الكتّاب المصريين وهم: لطفي الخولي، وأحمد عبدالحليم، وتحسين بشير، وأربعة عشر صهيونياً كلهم يشغلون مناصب حساسة في السلك الدبلوماسي الاسرائيلي، حث دار الحديث بينهم حول الإنفتاح والتواصل الثقافي العربي ـ الصهيوني.[٣]

وما نشرته صحيفة «النهار» من خبر إقامة منظمة اليونسكو بين ١٩ ـ ٢١ ايلول من عام ١٩٩٤م مؤتمراً في تونس تحت شعار «دراسة أبعاد الابداع الشعري والقصصي في العالم العربي في مطلع القرن الواحد والعشرين» وقد حضره الكاتب الصهيوني المعروف سامي ميخائيل الذي يعدّ المنظّر الثقافي الأول لعملية التطبيع العربي ـ الصهيوني، برفقة عدد من الأدباء والكتاب

العرب الذين طالما كتبوا عن دور الصهاينة في «نهضة» العالم العربي، أمثال: طاهر بن جلون، وأميل حبيبي الذي حصل على جائزة «السلام الثقافي»، وقد تسلمها من يد رئيس وزراء الكيان الصهيوني شخصياً، والطيب صالح، وصلاح ستيته، وفينوس خوري، وإلياس خوري، وكمال أبو ديب، ومحمد برادة، ومحمد بنيس، وتوفيق بكّار، وجمال الغيطاني، وصنع الله ابراهيم، ومالك علوله.(٤)

وفي هذا الصدد ايضاً ما أقامه «صحفيون بلا حدود» الندوة المفتوحة بمناسبة مرور عام على التوقيع على معاهدة «السلام» بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني التي عقدت بتاريخ ٢٥ ـ ٢٧ كانون الثاني / يناير من عام ١٩٩٤م، تحت شعار «الصحافة والسلام»، اشترك فيها صحفيون من مصر والأردن والكيان الصهيوني ولبنان والضفة الغربية وغزة، بالاضافة إلى ممثلين عن الصحف الاوروبية من اليونان والبرتغال، فأنهت أعمالها باصدار بيان تضمن التأكيد على النقاط التالية:

أ ـ السلام هو الحل الوحيد لمستقبل الشرق الأوسط!

ب ـ ضرورة إنفاذ «السلام» إلى صميم المجتمع العربي الإسلامي، وبلورته كضرورة لابدّ منها.

ج ـ الدعم الشعبي لمبدأ «السلام».

د ـ توحيد الجهود في سبيل نبذ الركود والإنحسار على هذا الصعيد.

هـ ـ تأسيس مركز إعلامي في منطقة الشرق الأوسط ـ بما فيه الكيان الصهيوني ـ لتبادل الأخبار والمعلومات.

الإهتمام الصهيوني بالتراث الإسلامي

من الأساليب التي تتبعها الصهيونية والمؤسسات التابعة لها في خطّتها المتضمنة غزوها الثقافي: تأبين بعض الوجوه الثقافية البارزة في العالم العربي الإسلامي، لغرض رفع الحواجز والعقبات الثقافية التي تحول دون تمددها في

المنطقة، من خلال التخفيف من شدة الحساسية الموجودة لدى الشارع العام العربي ثم الإسلامي تجاه الوجود الصهيوني السرطاني في قلب منطقة الشرق الإسلامي.

وقد لوحظ ـ على سبيل المثال ـ نشاطات العدو الغاصب في هذا المجال:

١ـ حفلة التكريم التي أقامتها سفارة اسرائيل لجبران خليل جبران الأديب العربي المعروف، وقد دار حديث «ثقافي» موسّع في الحفل حول شخصية هذا الأديب وأشعاره وكتبه ونشاطاته الأدبية.(٥)

٢ـ القيام برحلات ثقافية وفنية للكتّاب والفنانين العرب إلى الكيان الصهيوني، واجراء «برامج عربية» في تل أبيب، بتنسيق مشترك بين وزارة الإعلام المصرية ووزارة «الثقافة» الاسرائيلية.

٣ـ إحداث عدد من المقاهي على الطراز العربي التقليدي، واستقبال الضيوف والزبائن بالاغذية والاطعمة العربية من قبل الصهاينة في مختلف الدول الأوروبية.

تأسيس المراكز السياسية

إنّ تأسيس المعاهد والمراكز الثقافية التي تعنى بالشؤون السياسية يعتبر من أهمّ العوامل فعالية للصهاينة في صراعهم مع الإسلام والأمة الإسلامية، لأنّها تلعب دوراً خطيراً في تهيئة المنظومات التي على أساسها تقوم الأعمال الأخرى، وفي وضع المخططات لتغيير التركيبة الثقافية العامة للعالم الاسلامي.

فهذه المراكز بمثابة «العقل» المدبّر والمخطط للفعاليات التي يقوم بها العدو الصهيوني البغيض في هذا الصعيد، و«غرف عمليات» لكلّ النشاطات الموجّهة ضد الإسلام وأتباعه.

فقد نشرت مجلة «المجتمع» الكويتية تقريراً خطيراً تضمن إحصائية لعدد المؤسسات والمراكز الفكرية والثقافية التي تزايد عددها في الآونة الأخيرة بشكل يثير الدهشة، التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإسرائيل، وأنّ جميع

هذه المراكز والمؤسسات تشترك في هدف واحد هو إقامة علاقات وارتباطات ثقافية بين الصهاينة والعرب المسلمين، وأنّ أغلب هذه المراكز تم إحداثها بعد معاهدة مدريد عام ١٩٩١م.

مؤسّسة البادرة من أجل السلام

ويضيف التقرير بأن من أهمّ هذه المراكز وأخطرها في هذا الصعيد: المؤسسة التي تطلق على نفسها اسم «البادرة من أجل السلام والتعاون في الشرق الأوسط: البحث عن أرضية مشتركة» التي تضمّ عدداً كبيراً من رجال السياسة الأميركيين المعروفين أمثال: آلفرد اثرتون الذي يشغل منصب رئيس المؤسسة حالياً، وهارولد ساندرز، وشيستر كروكور، وريتشارد مورفي، ودورف زاخم، الذي كان يشغل منصب نائب وكيل وزارة الدفاع الأميركية سابقاً، بالاضافة إلى ٢٥ شخصاً آخرين من الأميركيين والاسرائيليين والعرب. وينتمي الأعضاء العرب فيها إلى المغرب ومصر والأردن وعمان والكويت ولبنان.(٦)

وهذا التقرير يكشف بوضوح ـ لمن يطالعه ـ عن الدقّة التي يتسم بها المخطط الثقافي الأميركي ـ الصهيوني المشترك في صعيد الإعداد والبرمجة العالية بإتجاه الغزو الثقافي الغربي ضد الإسلام والمشرق الإسلامي.

المركز الأكاديمي الإسرائيلي

وهناك ايضاً مركز أكاديمي اسرائيلي متخصص في هذا المجال اتخذ من القاهرة مقراً له، تأسس عام ١٩٨٤م، وبدأ أعماله ونشاطاته في أوائل عام ١٩٨٥م التي تصب كلها في أغراض تجسسية مشبوهة هدفها «التعرّف» على الشبكات والمجاميع الأدبية والفكرية والثقافية والفنية والعلمية الناشطة ضد الصهيونية أو اسرائيل.

كما ويسعى هذا المركز في نشاطاته «الاكاديمية» إلى التركيز على مسائل

عديدة محورية ذات العلاقة في هذا المجال، من أهمّها:

ـ التعرف على جذور وخلفيات الفلكلور العربي وبالخصوص المصري واللبناني والأردني، ومحاولة كشف الطرق الصحيحة إلى تغييرها.

ـ متابعة القضايا ذات العلاقة بالتعليم والتربية الإسلامية في البلدان العربية.

ـ مراقبة الحركة الفنية العربية ومراكزها الرئيسية.

ـ متابعة المسائل المتعلقة بالشعر والشعراء والكتّاب العرب.

ـ دراسة امكانية اقامة «وحدة ثقافية وعقائدية بين الإسلام واليهودية».

وما إلى ذلك من القضايا التي تتعلق بالوضع الفكري والحركة الثقافية في البلدان العربية الإسلامية، وخاصة تلك التي تحيط بالكيان الغاصب.(٧)

منظمة الحوار اليهودي ـ العربي

كما ونشرت صحيفة «الحياة» خبر تأسيسى منظمة تدعى بـ«منظمة الحوار اليهودي ـ العربي في أوروبا» (G.E.D.E.C) بدعم من الأمم المتحدة عام ١٩٩١م. واستناداً إلى تصريح السيدة سائدة نسيبة: فانّ هذه المنظمة باعتبارها منظمة غير رسمية تهدف إلى اقامة علاقات ثقافية بين اليهود والعرب. ومن ضمن مهامها الأخرى إصدار مجلة كل شهرين تحمل اسم (G.E.D.E.C. News) تعلّم فيها اليهود والاسرائيليين «طرق الحياة السليمة»! ويقع مقرها في لندن.(٨)

مركز «غوته» الثقافي

وهذا مركز «غوته» الثقافي الألماني المعروف في مصر الذي يلعب دوراً مهماً في هذا الصعيد، حيث انّه يعتبر جسر اتصال بين الكيان الصهيوني والعالم العربي الاسلامي.

فقد كشفت الكاتبة المصرية «سلوى بكر» النقاب عن أنّ هذا المركز يمارس نشاطات بارزة في مجال التطبيع، فهو يقوم بإستدعاء الكتّاب

الاسرائيليين شهرياً لتشكيل مؤتمر في مقره وعلى الاراضي المصرية، ويحاول في الوقت نفسه حمل الكتّاب المصريين على الحضور في هذه المؤتمرات وبشتى الأساليب والطرق.

وقد أعلنت هذه الكاتبة عن أنّها تلقّت اكثر من دعوة من قبل المركز الثقافي الألماني المذكور هذا لإقامة مؤتمر ثقافي في الكيان الصهيوني في خصوص كتاباتها.(٩)

العقبات التي تواجه الغزو الثقافي الصهيوني

بالرغم من كل الاجراءات الهائلة التي إتخذتها الدوائر الغربية ـ الصهيونية في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى غزو الأمة الاسلامية على الصعيد الثقافي، ونقل الصراع من الجبهة العسكرية والسياسية إلى ساحة الفكر والثقافة، وما سخّرته من أموال طائلة ووسائل ذات صفة تقنية عالية في نشاطاتها وتحركاتها، إلاّ أنها تواجه العديد من العقبات والمشاكل العويصة التي تعترض طريق عملها في هذا المضمار.

ويمكن تلخيص أهم هذه العقبات والمشاكل كالآتي:

١ـ مشكلة العقيدة اليهودية والتطلعات الصهيونية التي روّجوا لها منذ نشوء هذا الكيان البغيض. فالمعتقدات الصهيونية تقضي بأنّ اليهود هم شعب الله المختار، وباقي البشر انّما خُلقوا لخدمتهم! لأنّ الله تعالى قد أرادهم واختارهم ليحكموا على الآخرين! طبق ما ترويه توراتهم.

ولذلك فإنّه يحقّ للشعب اليهودي أن يذلل جميع ما يعترض طريقه بكلّ الوسائل المتاحة، حتّى لو اقتضى ذلك إستخدام العنف والوحشية في قتل «الآخرين»، أو نهب ثرواتهم وهدم منازلهم، فالعالم بأسره يجب أن يخضع للحكم اليهودي!!

وأنّ توراتهم تنصّ على أنّ لدولة اسرائيل حدوداً مقدّسة قد وضعها الربّ لهم منذ نزول الناموس الأعظم على موسى، وهي أرض كنعان التي تبدأ

بزعمهم من النيل إلى الفرات! وأنّه لابدّ أن تبقى بأيدي اليهود مهما يبلغ الثمن!!

جاء في سفر التكوين من التوراة: «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان»، وجاء ايضاً: «في ذلك اليوم قطع الربّ مع إبراهيم قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير».(١٠)

هذا التفكير العنصري الذي يحمله الصهاينة جعلهم يعانون من أزمات حادّة تعصف بهم داخلياً وخارجياً تحول دون إمكانهم التعايش السلمي مع «الاخرين».

فأمّا داخلياً: فإنّ لهذا التفكير اثراً سلبياً على التعايش السلمي بين اليهود أنفسهم. إذ انّ هناك فرقة تدعى بـ «اشكناز» تعود جذورها إلى اوروبا ومنطقة الخزر، وهذه الفرقةترى نفسها أفضل وأسمى عنصراً من الفرقة اليهودية المسماة بـ «سفارديوم»، التي تنحدر من أصول شرقية، مما أدى إلى بروز صراعات ومشاحنات قومية عنصرية داخل الكيان الصهيوني.

وأمّا خارجياً: فانهم يعانون من مشكلة التناقض فيما يعتقدونه من عقيدة، كونهم شعب الله المختار، وما يتطلعون اليه من نيل التواصل مع الشعوب والثقافات الأخرى.

فهم يواجهون متاعب نفسية وإجتماعية كبيرة تجاه هذه المشكلة، وبالتالي فهم يعيشون أزمات حادّة من أجل التعايش السلمي مع الشعوب المجاورة، وخاصة تلك التي تتسم بحضارة عريقة، وتمتلك ثقافة مستنيرة.

ومن هنا فانّ «الثقافة» الصهيونية ثقافة متحجّرة وساكنة وغير صالحة لأن تُعرض على الآخرين أو أن تتنافس مع الثقافات الأخرى.

وعلى الرغم من كل المحاولات والمساعي الحثيثة التي بُذلت ابّان الحرب للإبقاء على حقيقة هذه الثقافة في طي الكتمان، فانّ مساعيهم باءت بالفشل بعدما تكشّفت للشعوب والأمم حقيقتها القائمة على العنصرية الممقوتة. وحينما أرادوا التعامل مع الشعوب الأخرى على مبدأ التعايش السلمي بهذه العقلية الثقافية المتحجرة، والنفسية المضطربة المريضة، واجهوا مشكلة كبيرة

ومتفاقمة أمام طريق تواصلهم مع الآخرين.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار المعتقدات الدينية اليهودية المتزمّتة القائمة على أسس ملخّصها: عدم الاعتراف بالشعوب الأخرى، واعتبار هذه الشعوب مجرد خدم لليهود ليس إلاّ، فيكون من الواضح لكل باحث منصف أنّ القضايا الانسانية ليست لها أية قيمة تذكر في القاموس الثقافي الصهيوني.

فمبدأ حقوق الإنسان يتناقض مع الأسس العقيدية لليهود، وهكذا مبدأ حقّ الشعوب بتقرير مصيرها. وأمّا ارتكاب المجازر واستخدام لغة القسوة والارهاب والتهجير فهو جزء لا يتجزأ من ثقافتهم الضيقة.

فالمجازر الوحشية التي قام بها اليهود ضد شعوب المنطقة العربية الإسلامية إبّان الاحتلال، وسياسة التشريد والتنكيل التي ارتكبوها ضد مسلمي فلسطين ولبنان لم يدع أيّ مجال لإمكانية اقرار مبادئ التعايش السلمي من قبيل: مراعاة حقوق الانسان والقوانين الإنسانية المتعارف عليها دولياً.[١١]

وليس أدلّ على الوجه العنصري للكيان الصهيوني من إدانة المجتمع الدولي للصهيونية، وذلك حينما صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١١//١١/١٩٧٥م على اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

إذ تشير الجمعية العامة في قرارها المرقم ١٩٠٤ «د ـ ١٨» والمؤرّخ في العشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٣م الذي أصدرت فيه إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وتؤكد على: «أن أيّ مذهب يقوم على التفرقة العنصرية أو التفوق العنصري مذهب خاطئ علمياً، ومشجوب ادبياً وظالم وخطر اجتماعياً».

كما وأدانت الجمعية العامة في قرارها المرقم ٣١٥١ «د ـ ٢٨» والمؤرخ في ١٤ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٧٣م جملة أمور منها: «التحالف الآثم بين العنصرية بأفريقيا الجنوبية والصهيونية».[١٢]

وأدانت ايضاً منظمة الوحدة الأفريقية في دورتها العادية الثانية عشرة المعقودة في «كمبالا» في الفترة من تموز / يوليو إلى آب / اغسطس من عام

١٩٧٥م، والذي جاء فيها: «انّ النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زيمبابوي وافريقيا الجنوبية ترجع إلى اصل استعماري مشترك، وتشكل كياناً كلياً، ولها هيكل عنصري واحد، وترتبط ارتباطاً عضوياً في سياستها الرامية إلى اهدار كرامة الإنسان وحرمته...».

وفي الإعلان السياسي لمؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد في «ليما» في الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ آب / اغسطس من عام ١٩٧٥ أدان ايضاً الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديداً للسلم والأمن العالميين، وطلب إلى جميع البلدان المشاركة مقاومة هذه الأيديولوجية العنصرية البغيضة...[١٣].

ومما يجدر ذكره أن الصهاينة في الوقت الذي يمارسون فيه سياستهم العنصرية فانّهم يفخرون بالأسبقية في هذا الميدان من أئمة العنصريين في العالم كهتلر وموسوليني وفيرفورد، ومن قبلهم: نيتشه وفيختة وكويستلر الذي قال عن هجرة اليهود إلى فلسطين: سيصبح كومنولث المهاجرين هذا رأس جسر الديمقراطية الأوروبية!!

كتب «آحادهاعام» وهو من مفكّري اليهود الأوائل، ومن مؤسسي المدرسة الروحية اليهودية يقول في هذا الصدد: انّ اليهودية سبقت النيتشوية بعدة قرون بفكرة الرجل اليهودي المتفوّق! الرجل النقي الصدّيق الذي هو غاية في حدّ ذاته... والذي خُلق العالم من أجله!![١٤]

وأعلن حاييم وايزمن القائد والمنظّر للحركة الصهيونية في خطابه الذي اشتهر به فيما بعد بـ«الاستراتيجية الصهيونية» أنّه في لقائه مع اللورد «بلفور» وزير الخارجية البريطاني ـ الذي أعطى لليهود وعداً عام ١٩١٧م بانشاء حكومة اسرائيل ـ قال له: لابدّ وأن يكون عدد سكّان اسرائيل في البداية ٤ ـ ٥ ملايين نسمة لتتمكّن بهذه القوة أن نشيد كياناً اقتصادياً مقتدراً كمرحلة أولى، ومن ثم نعمل على زيادة عدد اليهود باتباع سياسة «خاصة» ليتسنّى لنا اجتياح الشرق الأقصى بعد أن نحكم سيطرتنا على الشرق الأوسط! وأضاف: لقد

اقنعت اللورد بلفور بأنّ الاستعمار هو الصهيونية بنفسها.[١٥]

إنّ الصهيونية البغيضة التي استطاعت أن تستدرّ عطف ومعونة أوروبا عام ١٩٤٨م في خصوص اقامة الكيان الغاصب، تحاول اليوم أن تحتفظ بذلك النجاح نفسه، وتستفيد منه أقصى حد ممكن في إجراء سياستها المبنية على أسس توسعية قائمة على أركان ذات صفة عنصرية مقيتة.

وهذه السياسة كثيراً ما سببت لها المشاكل الجمّة، ولعلّ أبرزها المشكلة الثقافية ـ التي نحن في صدد الحديث عنها ـ في اتصال بالحكومات العربية والإسلامية، وحالت دون ايجاد الأرضية المناسبة التي يمكن أن يقام عليها التطبيع بينها وبين العرب المسلمين.

وقد اشار قادة العرب ومثقّفوهم إلى هذه الحقيقة أكثر من مرة، وحذّروا من الأطماع التوسعية التي جُبِلَ عليها الكيان الصهيوني الغاصب وأنصاره المتحمّسون. ولعلّ أول من أشار إلى هذه المسألة هو الرئيس المصري السابق جمال عبدالناصر حيث قال في خطابه الذي ألقاه بدمشق: رأيت في احدى المجلات التابعة لجيش اسرائيل مقالاً بعنوان «نحو دمشق» جاء فيه: إذا أردنا ان نقضي على العرب فلابدّ لنا أولاً أن نحتلّ سوريا! والخطأ القاتل الذي وقع فيه الصليبيون هو أنّهم عندما احتلوا البلدان العربية لم يحتلّوا سوريا بأكملها، مما أدّى ذلك إلى اتاحة الفرصة للعرب لأنْ يلملموا شتاتهم مرة أخرى. يجب أن نزيل العرب من على وجه الكرة الأرضية ليحلّ محلّهم صهاينة العالم!![١٦]

٢ـ المشكلة الأساسية الثانية التي يعاني منها الكيان المحتل هي: افتقاره للحضارة، وعدم توفّره على خلفية ثقافية يمكن أن يستند عليها في مباحثاته ضمن مسيرة التطبيع والتواصل مع الشعوب الأخرى التي تعيش في المنطقة على الخصوص.

حيث إنّ الكيان ككل ـ حكومة وشعباً ـ لازال بأيدي القوى السياسية العالمية بمثابة الأداة والآلة في تنفيذ المخططات التي تُصنع وتُستخدم في المراكز الغربية والأميركية ذات العلاقة بأصحاب القرارات العليا والصادرة،

لأجل حماية مصالح تلك القوى الحيوية والإستراتيجية، وطالما استعانت به أوروبا من قبل والولايات المتحدة اليوم في حلّ مشكلاتها والعقبات الحادثة في طريق سياستها الإستعمارية في منطقة الشرق الأوسط الثري.

فالصهاينة بلا ثقافة ولا حضارة، ولذا فانّ اسرائيل تحاول بغباوة أن تقتبس من أوروبا وأميركا والبلدان العربية الإسلامية المجاورة لها التركيبة الثقافية لمجتمعها، وتكتسب التشكيلة الحضارية ولو ظاهرياً لكيانهم ثم تدّعي الأصالة في حالة المنافسة مع الآخرين.

وبذلك استطاع منظّرو الكيان الصهيوني أن يكوّنوا له حكومة سياسية «تقتطع» اعترافات الدول بها اقتطاعاً، وكياناً ثقافياً يدّعي المدنية والأصالة بلسان سليط، كل ذلك من خلال الافادة من المقتبسات المتناثرة هنا وهناك من الثقافات الاخرى.

ومن الطبيعي أنّ مثل هذه «الثقافة» لا تقوى على القيام بعملية «اختراق» ثقافي أو تحدّ في هذا المجال لمجتمعات تمتلك حضارة عريقة وتتمتع بثقافة أصيلة ورفيعة، لأنّها تفتقد بالمرة إلى المقوّمات التي من شأنها تثبيت العناصر الثقافية المؤثرة في الواقع الحضاري لكل مجتمع وتمنحه المسحة الحضارية في طول حياته.

٣ـ وجود مجاميع يهودية متطرفة في هذا الكيان تضم رجال دين وسياسة وغيرهما، تشكّل بمجموعها كأداة ضغط سياسية لتحركات الحكومة ونشاطاتها في صعيد التطبيع والتواصل الثقافي مع الشعوب والأمم الأخرى.

وبذلك اصبحت هذه المجاميع الحاقدة أحد المعرقلات التي تعترض حركة «الحكومة الاسرائيلية» في سبيل إقرار التطبيع مع العرب المسلمين، وتكريس حالة التواصل من خلال إيجاد ثوابت مشتركة مع سائر الثقافات الاخرى.

٤ـ اختلاف المعتقدات والقيم والآداب والتقاليد في المجتمع اليهودي الاسرائيلي تبعاً لتباين البلدان التي هاجر منها اليهود: من روسيا إلى اثيوبيا،

ومن يوغسلافيا إلى تايلند، حالت دون ظهور ثقافة واحدة وتقاليد منسجمة داخل المجتمع الصهيوني.

فالمواطنون «الاسرائيليون» ينحدرون من قوميات مختلفة، وهو ما يستتبع وجود مذاقات وأشربة متعددة بينها تمام الاختلاف.

كتب «اوجين بتلر» استاذ علم الأجناس في جامعة جنيف يقول: إنّ جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودي. ويضيف بعد ذلك: ان اليهود يؤلّفون جماعة دينية اجتماعية من غير شكّ، لكن العناصر التي تتألف منها متنوعة تنوعاً عظيماً، إذ ان المهم الذي لابد أن نعلمه إنّ اليهود في ألمانيا والبلاد السلافية هم طوائف من الألمان والسلاف اعتنقوا الدين اليهودي منذ القرن الثالث قبل الميلاد على يد أولئك المبشّرين... فاليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضمّ اليهم في جميع ا لعصور أشخاص من أجناس شتّى، وهؤلاء المتهورون جاؤوا من جميع الآفاق، فمنهم الفلاشا سكّان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السحنة الجرمانية، ومنهم التامل اليهود السود من الهند، ومنهم الخزر، والمفروض أنهم من الجنس التركي... ثم يستخلص فيقول: إنّ اليهود هم اعضاء في شعوب كثيرة، ولهم أوطان عديدة وإن اختلفوا في الدين عن سائر السكّان فيها، فمن الافتراء ان يقال: ان اليهود شعب لا وطن له.[١٧]

فهذا الاختلاف يشكّل عقبة صعبة أمام سياسة الحكومة من جهتين:

الاولى: من جهة سياستها الرامية إلى تكوين كيان يتمتع بمحورية قوية حول المعتقد الديني الواحد وذي مشرب واحد على الأمد القريب.

والثانية: من جهة سياستها القائمة على تصدير «الثقافة» الصهيونية إلى الآخرين، طبق مخطط يبتني أساسه على إقرار التطبيع كمرحلة تالية لما بعد «السلام» في المنطقة.

٥ـ ما ارتكبه الكيان الصهيوني الغاصب بحقّ الشعب الفلسطيني المسلم من مجازر وحشية وسياسة قائمة على القهر والتجاوز وانتهاك الحرمات، بدرجة من القسوة والبشاعة بحيث لا يمكن أن تغيب عن ذاكرة المسلمين عموماً

والعرب خصوصاً أبداً.

والأهمّ من ذلك انتهاك الكيان وأتباعه للمقدّسات الاسلامية والرموز الدينية للمسلمين من قبيل: احراق المسجد الأقصى، واطلاق النار على المصلين، وإهانة القرآن الكريم واعتقال علماء الإسلام.. وغيرها، كل ذلك حال دون قبول «الثقافة» الصهيونية عند المسلمين، أو التأقلم معها بأيّ شكل من الأشكال.

٦ـ انتشار الفلسطينيين المسلمين المشرّدين والمتضررين جراء اغتصاب الكيان المحتل أراضيهم ومنازلهم في مختلف بلدان العالم، خاصة اذا علمنا أنّ كل واحد من هؤلاء يحمل معه مظلوميته التي هي امتداد لمظلومية فلسطين العربية المسلمة، التي شاهدها بنفسه واكتوى بنارها. وهذا ما يجعل سجل الجرائم التي قام بتنفيذها الكيان الصهيوني مفتوحاً أمام أنظار العالم الحرّ، وبالتالي فإنّه من الصعب أن يبرّئ هذا الكيان ساحته أمام الرأي العام العالمي عموماً والاسلامي العربي خصوصاً.

ومنه تبرز مشكلة اقناع هذه الأجيال والشعوب المسلمة على القبول بإقتراحات هذا الكيان الغاصب الرامية باتجاه التطبيع أو التعايش السلمي معها.

عناصر القوة في المجتمع الاسلامي

ومن العقبات الاخرى التي تحول دون إمكان حدوث التطبيع والتواصل السلمي عبر الاختراق الثقافي الصهيوني للامة الاسلامية هو وجود عناصر قوة في المجتمع المسلم، التي هي بمثابة سدّ هائل أمام العدوّ الغاصب، ومساعيه الرامية إلى تحطيم الثقافة الاسلامية واستبدالها بثقافة تسمح بإحلال «السلام» في المنطقة، وإقرار أسس التعايش المبنية على الاعتراف بالكيان الصهيوني كدولة سياسية ذات شأن كبير.

وهذه العناصر لو تمّ ترشيدها بالشكل الصحيح فانّه يمكن الإفادة منها كعناصر مقاومة لها القدرة الخارقة على سدّ الثغرات التي يحاول العدوّ اختراقنا

من خلالها.

ولعلّ من أهمّ هذه العناصر:

١ـ وجود المقاومة الاسلامية في أرض الواقع، وهي حقيقة تدعو إلى التفاؤل بمستقبل مشرق للأمة الاسلامية جمعاء، فالمقاومة الإسلامية هي مصدر قوة واقتدار للمسلمين جميعاً وخاصّة للعرب منهم، سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو العسكري.

فعندما يدرك افراد المجتمع الإسلامي بأنّ ابناءه مازالوا هناك صامدين ويشغلون مواقع قتالية متقدمة أمام العدو بكل تجهيزاته، ويسدّدون الضربات الموجعة بـ«جسم» العدوّ الغادر، فإنّ المجتمع ككل سوف لا يجد فكاكاً من الإلتزام بقيمه الإسلامية، والتمسك بهويته وثقافته الإسلامية اكثر فأكثر.

ولعل استمرار المقاومة الإسلامية الشعبية في فلسطين، وديمومة ثورة الحجارة، والمقاومة البطولية بكل أشكالها خير شاهد على ما نذهب اليه

مما يدلل على عظمة هذا المجتمع المسلم الذي يضمّ من عناصر القوة ما لا يضمّ غيره منها.

إنّ للحركات الاسلامية الثورية كحركة حزب الله وحركة حماس والجهاد الاسلامي دوراً كبيراً وبارزاً في هدم الأسس الفكرية التي اعتمدها العدو الصهيوني في المواجهة، وإحباط مخططاته الرامية إلى اختراق العالم الاسلامي بمعونة القوى الكبرى.

٢ـ وجود دين واحد يحكم المجتمع وهو دين الإسلام مصدر القوة الاساسية الفاعلة التي بإمكانها أن تعبّئ مليار مسلم في الجبهة الإسلامية للوقوف صفاً واحداً مقابل اسرائيل.

إنّ وجود مثل هذا القاسم المشترك الثقافي الكبير يعدّ بلا شك ذخيرة يمكن أن توفر الأرضية المناسبة لتشكيل اضخم تجمع ثقافي، وأكبر وحدة فكرية على وجه الكرة الأرضية، ومن ثمّ توجه الطاقات الهائلة والقدرات العظيمة باتجاه كسب المعركة لصالحه.

وخاصة لو كانت الجهة المقابلة للمسلمين هم اليهود الذين ما فتأ القرآن الكريم يذمّهم ويحذّر بشدة من إقامة أية علاقات معهم، ويصفهم بأهل غدر ومكر واحتيال في ايات مباركة عديدة تكفي لتزريق المجتمع الاسلامي بالمناعة اللازمة أمام محاولات التغلغل والاختلاق التي تقوم بها «الميكروبات» الصهيونية، وتمدّ النفوس بروح المقاومة والتصدّي والعداء تجاه المحتلين.

٣ـ العداء المتصاعد للكيان الصهيوني هو من صميم الثقافة العامة في البلدان العربية والاسلامية، ويتزايد هذا العداء بصورة مستمرة نظراً للاعلام الموسّع والمناهض للصهيونية الذي أفرز ارضية خصبة تعزز من الكراهية والحقد إزاء هذا الكيان الغاصب عند الأجيال المتعاقبة.

أضف إلى ذلك بشاعة الجرائم ووحشيتها التي يمارسها الصهاينة **وعملاؤهم** لمرتزقة ضد العناصر الوطنية والرموز الدينية، مما ساعد على زيادة الكراهية الممزوجة بالحقد الشديد في قلوب جميع المسلمين والأحرار في العالم.

وقد تغلغل هذا الحقد والكراهية في قلوب أفراد المجتمع العربي الاسلامي خاصّة، بشكل اصبح من المستحيل استئصاله أو تخفيف حدّته وشدّته. وهو بذلك يمكن ان يشكل إحدى مصادر القوة «الكامنة» المقاومة للثقافة الاسلامية في مواجهتها للغزو الثقافي المقيت.

٤ـ وجود المقاومة الوطنية والقومية المناهضة للكيان الصهيوني في البلدان العربية. وقد جاء هذا الوجود كردّ فعل طبيعي إزاء ظهور الصهيونية في هذه البقعة من العالم العربي، وما أفرزه هذا الظهور من مآس وأورام في جسم الأمة، إضافة إلى ما أورثها من احزان مستمرة زادت من تورّمها.

ولذا بدأت القومية العربية مشوارها النضالي ضد الصهاينة دفاعاً عن اراضيها وحقوق الشعب العربي المهدورة والمغصوبة من خلال تأسيس منظمات وأحزاب متعددة تحمل الطابع النضالي ضد الصهيونية العالمية.

ولعلّ أول تنظيم قومي بدأ نشاطه المعادي للصهيونية يعود تاريخه إلى

النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد. ففي سنة ١٩١٩م تم تشكيل مؤتمر في دمشق بهدف التصدّي لمشروع بلفور السيء الصيت بإقامة دولة إسرائيل.

ثم استمرّت سلسلة المؤتمرات داخل فلسطين بالانعقاد بدءاً من المؤتمر العربي سنة ١٩١٩م الذي انعقد في القدس، ومروراً بمؤتمر «ضرورة الكفاح المسلّح» بنابلس سنة ١٩٣١م، إلى مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في يافا سنة ١٩٣٢م، وحتى مؤتمر الثورة الفلسطينية الكبرى في عام ١٩٣٦م.[١٨]

دور رجال الفكر والثقافة في المواجهة

لعب الكتّاب والفنّانون والصحفيون ورجال الفكر والثقافة والأدب من العرب والمسلمين دوراً متميزاً في هذا الصعيد. إذ بعد أن يئس العدو الصهيوني ـ بعد استخدامه كل أساليبه وحيله الماكرة ـ من علماء المسلمين لجرّهم إلى طرفه، وابتدأ بالتعامل معهم وفق سياسة البطش والتبعيد، وجّه اهتماماته نحو الطبقة المثقّفة من أبناء الأمة العربية الاسلامية، وتوجيههم بالاتجاه الذي يرغب فيه، ظناً منه أن الدور وصل اليهم وأنّه يرى فيهم ما يحبّ من الترويج لبضاعته المزجاة في كتاباتهم ونصوصهم الشعرية وأعمالهم الفنية في سوق المسلمين، ويهرّجون لعملية «السلام» التي يدعو اليها اضافة إلى ابواق دعاياته في المنطقة.

ولكن الكتّاب والمثقفين لم يرتبطوا بعجلة العدو البغيضة، وظلّوا متمسكين بأصالتهم وهويتهم الحقيقية، وأوفياء للقيم التي تربّوا عليها وترعرعوا فيها.

ذلك لأنّ قبول الاحتلال والترويج له انما هو امتهان للعدالة والانسانية، وهذا ما لا يرتضيه أيّ كاتب ومفكر يكافح من أجل هذين المبدأين الأساسيين.

ويمكن أن نعرض بعض الأمثلة والشواهد التي تدلل على تمسّك المثقفين

والكتّاب والصحفيين من أبناء الأمة العربية الإسلامية بأصالتهم ومبادئهم التي استقوا منها:

١ـ على الرغم من مرور أكثر من عشرين عاماً على إقامة مصر علاقات رسمية مع الكيان الصهيوني الغاصب وحرية السفر بين البلدين مفتوحة أمام المصريين وأفراد الكيان، الا أن كلاً من نقابة الحقوقيين ونقابة الأطباء ونقابة الصحفيين ونقابة الفنانين حرّمت على أعضائها السفر إلى ذلك الكيان، وأبدت هذه النقابات حساسية شديدة إزاء أي انتهاك للقوانين والمقررات التي أصدرتها في هذا الخصوص من قبل أعضائها.

٢ـ تشكيل اللجنة الدائمة لمناهضة الغزو الثقافي الصهيوني في لبنان، وانضمام العشرات من الكتّاب والأدباء بما فيهم أعضاء رسميون في الحكومة. وكان من أعمال هذه اللجنة الدائمة إبداء ردود فعل شديدة ازاء أي تظاهرة ثقافية يقوم بها أيّ كان تدعو للتطبيع مع العدو الغاصب.

وتجدر الاشارة إلى أنّ هذه اللجنة قد أقامت ندوة موسّعة تحت شعار «مناهضة الغزو الثقافي الاسرائيلي» بتاريخ ١٩٩٤/١/١١م في مقر مركز نقابة الصحفيين في لبنان وبحضور عشرات الكتاب العرب البارزين ونواب المجلس ووزير الثقافة اللبناني.(١٩)

٣ـ بعد معاهدات التطبيع بين الكيان الصهيوني والأردن تم تأسيس الأمانة العامة للتصدي وأهمّ وظائفها المعلنة:(٢٠)

أ ـ اصدار مجلة ثقافية ـ سياسية كل شهرين تهدف إلى التنبيه إلى خطر الكيان المحتلّ وفضح ما يقوم به من أعمال في مضمار الغزو الثقافي في البلاد العربية والاسلامية.

ب ـ اقامة الندوات والمؤتمرات وبشعارات تفرضها المرحلة الراهنة.

جـ ـ توعية الجماهير وبث الثقافة الثورية المناوئة للكيان الصهيوني الغاصب.

د ـ اصدار البيانات اللازمة لكشف المخططات التي يقوم بها كل من تسوّل

له نفسه بالتعاون مع هـذا الكيان المـقيت وأذنـابه امـام الرأي العـام العـربي والعالمي.

هـ ـ تأسيس لجان فرعية في المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بهدف التصدّي لكل حدث يدعو إلى التساوم، و استقطاب الجـماهير نـحو المشاريع التي ترمي إلى مناهضة العدو وعملائه في المنطقة.

٤ـ تشكيل اللجنة الدائمة لمقاومة التطبيع الثـقافي التـابعة للاتـحاد العـام للكتّاب والادباء العرب التي تحتفظ بموقفها المعادي لكل المحاولات الثقافية الرامية إلى تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني المشؤوم؟

وآخر انجاز كان لهذه اللجنة ما اصدرته من بيان ينتقد الشـاعرة الاردنـية زليخا أبو ريشة لحضورها مؤتمر «المرأة في الشرق الأوسط» الذي ترأسه وزير الثقافة والاتصالات الاسرائيلي شولاميت آلومي الصهيوني المقيت.

٥ـ بعد اتفاق غزة ـ أريحا وقّع العديد من الكتّاب والادباء المصريين على وثيقة تضمنّت الاشارة إلى الجـهود الحـثيثة التـي يـبذلها الكـيان الصـهيوني للـتقرب مـن الكـتّاب والمـثقفين المـصريين، وأكّـد المـوقّعون شـجبهم واستنكارهم لأي لون من ألوان التعاون المتبادل مع الصهاينة، معتبرين ذلك خيانة بحقّ المجتمع الثقافي المصري.

كما وأشارت الوثيقة ايضاً إلى أن الأموال الاسرائيلية التـي رصـدت لهـذا الغرض لا يمكنها ان تضعضع مـواقـف الكـتّاب المـصريين أو تـثنيهم عـن عزائمهم.(٢١)

٦ـ في المؤتمر الذي اقامه مركز إعلام الوطن العربي بمصر في شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٩٩٤م اعلن الدكتور انينة رشيد رئيس لجنة الدفاع عن الثقافة القومية المصرية رفض أيّ لون من الغزل الثقافي للكيان الصـهيوني، وفيه ايضاً حذّر الدكتور رضوي عاشور المجتمع العربي من بعض الأوساط التي تنشط في مجال التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني في الخفاء.

سبل تعزيز المقاومة إزاء الغزو الثقافي الصهيوني

بعد أن تعرّفنا على أبعاد الخطّة الصهيونية في الغزو الثقافي، وعناصر القوة والضعف لدى الكيان الصهيوني يتحتم علينا دراسة سبل تعزيز المقاومة ضد المخططات الرامية في هذا الصعيد.

حيث انّ المسلمين وهم يعيشون في ظلّ الظروف الحساسة الحالية فانّه يتحتم عليهم البحث عن الحلول الأنجع للمشاكل المحيطة حولهم، ويقفوا منها الموقف المناسب والمطلوب، خاصة وانهم يواجهون اشرس واعتى واخبث عدوّ عرفته الامة الاسلامية عبر مسيرة حياتها الطويلة.

ومن أهم سبل تعزيز المقاومة:

١ـ التمسك والاستعانة بالاصول الدينية والعقائدية الاسلامية الاصيلة، والعمل على ابقائها حية وفاعلة في نفوس اوساط الناس، من خلال استشعارهم بوجودها بينهم وفي حياتهم اليومية. ذلك لأنّ العدو الصهيوني في غزوه الثقافي ينطلق من منطلقات عقيدته ودينه، لذا فانّه ينبغي في المقابل التمسك من جهتنا بديننا وعقيدتنا الاصيلة. والعودة إلى الإسلام والافكار الاسلامية وأسلمة الصراع مع الصهيونية البغيضة بدل ان يكون قومياً عربياً ضيقاً هو ـ في الحقيقة ـ مصدر قوة واقتدارا اكبر عند المواجهة الحضارية معه.

إذ أنّ الكفاح والتصدي ضد الغزو الثقافي إن كان ذا طابع اسلامي فانّ عالماً يبلغ مليار نسمة بكامله سيكون معنياً في مقاومة الكيان المحتلّ، وأنّ كلّ حركة تحاول نقل ساحة المواجهة من إسلامية إلى عربية محدودة ضد العدو هي في الحقيقة تسدي خدمة كبيرة للمصالح والاهداف الاسرائيلية المقيتة.

٢ـ الإفادة من وسائل الاعلام المختلفة من قبيل الصحف والمجلات والافلام السينمائية والمسرحيات والكتاب والقصة والاذاعة والتلفزيون و.. و.. في ضخّ الفكر المناهض للصهيونية باستمرار خاصّة للاجيال القادمة، والتأكيد على المحاور التالية:

أ ـ الثقافة الاسلامية الاصيلة والحضارة الراقية التي كانت الامة الاسلامية

تمتلكها والتي كان لها الدور البارز في بناء الحضارة الغربية المعاصرة.

ب ـ التذكير بولادة الكيان الصهيوني الغاصب واللقيط، وعرض جرائمه الوحشية التي ارتكبها ويرتكبها، وكلّ تجاوزاته وانتهاكاته لحقوق الانسان التي اقرّتها الامم المتحدة على الرأي العام الدولي والمحلي.

ج ـ نشر اخبار عمليات المقاومة والصمود الذي يبديه رجال المقاومة من ابناء الامة العربية الاسلامية لغرض اطلاع الرأي العام العالمي على وجودها واستمرارها لتبقى القضية حية دائماً في ضمير الانسانية.

د ـ عرض فصول تاريخ المعاناة والآلام التي تحملها الشعب الفلسطيني وكذا اللبناني جراء سياسة العدو القائمة على أسس ارهابية من مفرداتها: القتل الجماعي والتشريد بالجملة وذبح الأيامى والاطفال الرضّع.

هـ ـ تخليد ذكرى الشهداء وقادة الصراع ورموز المقاومة والقوى المجاهدة لتظلّ حية ونامية مع كل الاجيال.

و ـ فضح وتشهير الخونة الذين خانوا القضية الفلسطينية والجهاد الطويل الذي خاضه ويخوضه الشعب الفلسطيني المسلم.

ز ـ الكشف عن حقيقة الكيان اللقيط القائم على مرتكزات فكرية عنصرية ممقوتة ومستهجنة دولياً، وغياب الهوية الثقافية لديه.

٣ـ العمل على منع انتشار الثقافة الاوروبية والاميركية في البلدان العربية والإسلامية، اذ ان وجود هذه الثقافات في المجتمعات العربية والاسلامية يجعل العدو الصهيوني أقدر على اختراقها وتعزيز وجوده فيها.

وما تجدر الاشارة اليه أنّ عملية المنع لا تشمل محطات الاذاعة والتلفزة والصحف المتداولة فحسب، بل تشمل كل ما له صلة وعلاقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالتربية والتعليم والآداب والأخلاق العامة. أي بدءاً بالمناهج الدراسية في المدارس والجامعات، ومروراً بالنصوص العلمية والأدبية، وانتهاء بالمظاهر السلوكية الفردية والجماعية للشباب واليافعين.

٤ـ تعزيز الحساسية الثقافية والإعلامية وابداء ردود الفعل الشديدة

والمناسبة ازاء عملية التطبيع بأيّ شكل كانت في اوساط المثقفين والمفكرين والصحفيين المسلمين. إذ انه لو توفر الغطاء الإعلامي المضاد للصهيونية فلن يتمكن هذا الكيان من بسط نفوذه داخل المجتمع المسلم، واحتوائه العناصر والقوى وكسبها إلى جانبه.

٥ـ استمرار النشاط الديني لعلماء الإسلام وطلبة العلوم الدينية الاسلامية من مختلف المذاهب، وتأكيد الفتاوى الشرعية التي تحرّم أيّ لون من التعامل أو التنسيق مع الأعداء وعملائه، وبث الوعي الديني بين الناس من خلال فضح حقيقة الصهاينة وعدائهم الدائم والقديم للدين الاسلامي الحنيف.

٦ـ بذل الجهد على رفع المستوى العلمي للمجتمع العربي والاسلامي، وانقاذه من الجهل والأمّية اللذين يولّدان المناخ المناسب لـ «الإصطياد» الذي ربما يقوم به العدوّ الغادر.

٧ـ صيانة التراث الثقافي الاسلامي في المناطق العربية، وذلك لأنّ التراث الثقافي يعبّر عن تاريخ وحضارة الشعوب، فمن هنا برزت أهميته عند الدول. وتكتسب هذه المسألة طابعاً أكثر جدّية إذا لاحظنا أنّ العدو يفتقد اساساً إلى أيّ تاريخ يذكر، أو حضارة تعدّ من ضمن الحضارات الانسانية، وأمّا المسلمون فهم صانعو تاريخ آسيا والشرق الاوسط وجزءاً من اوربا. وحتى القارة الاميركية نفسها.

فطبقاً للدراسات التي قام بها كلّ من: د. ايفان فان سرتيما، د. ت. ب. ايرفينغ، د. أديب رشاد ثبت أنّ المسلمين السود قد جاؤوا إلى الاميركيتين قبل مجيء كريستوفر كولومبس مكتشف اميركا بحوالي ١٨٠ عاماً. وقد قام المسلمون الأفارقة المستكشفون والتجار بجولات استكشافية تحت رعاية الامبراطور منسي أبو بكري محمد في أجزاء كثيرة من الاميركيتين، وتشمل المنطقة التي تعرف الآن: الولايات المتحدة. ويؤكد د. رشاد: أنّ المسلمين الافارقة تبادلوا التجارة، وأقاموا علاقات اجتماعية وتزاوجوا من أهل البلاد الاميركية، وقاموا بهدايتهم إلى الإسلام ويقدّر عدد المسلمين الآن في

الولايات المتحدة بستّة ملايين مسلم، ويشكّل الاميركيون الأفارقة أكبر مجموعة اسلامية في اميركا.(٢٢)

٨ـ إحداث مراكز تحقيقية وعلمية أكاديمية تعنى بالشؤون السياسية والثقافية والاستراتيجية بهدف اجراء دراسات ومطالعات حول العدوّ في المجالات السياسية والتاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية و.. و.. مدعمة بالأرقام والإحصائيات الدقيقة، وتزويد الأوساط الفكرية والثقافية والعلمية والإسلامية وذات العلاقة بالقرارات السياسية بها لغرض إفادتها بالمعلومات الصالحة في هذا الصعيد.

٩ـ تصعيد روح المقاومة والرغبة في النضال الشعبي المرير ضد كل التحركات المشبوهة، التي تدور في فلك العمليات الاختراقية الثقافية والاجتماعية والعلمية والتربوية، من خلال تكريس روح الرفض الشعبي العام لكل ما يعرضه العدوّ الصهيوني وعملاؤه المرتزقة من عروض مغرية احياناً في هذا الاتجاه، من قبيل ما قامت به القوات العميلة «قوات لحد» بافتتاح مدارس ابتدائية في القرى الواقعة على الشريط الحدودي المحتلّ في جنوب لبنان، وكانت النتيجة أنّ أحداً لم يدخلها، فاضطرّ العدو على اثر ذلك إلى اغلاقها بعد مرور شهرين فقط من بداية العام الدراسي ٩٣ ـ ١٩٩٤م.

ولا يخفى أنّ هذا لم يحدث لو لم يتم التنسيق والتعاون بين العلماء والقوى المحلية في تلك القرى الصامدة.

١٠ـ دعم وتقوية الاتحادات والنقابات الثقافية والفنية والصحفية المنتشرة في مختلف ارجاء العالم الاسلامي للتصدّي إلى الغزو الثقافي بجميع أبعاده.

١١ـ تصعيد التعاون المتبادل بين وسائل الاعلام العربية والإسلامية ووكالات أنباء الدول المسلمة لتغطية أخبار المقاومة الإسلامية في خطوط المواجهة، وكشف زيف العدوّ الصهيوني وتعريته من كل ما تحيط به من هالة القدسية والديمقراطية الزائفتين عبر هذه الوسائل والوكالات مباشرة.

١٢ـ والأهم من ذلك كلّه: تعزيز الوحدة العربية والاسلامية، التي هي احدى

اهم الضرورات في هذه المرحلة. وما يزيد من أهميتها أنّ هناك خطّة عمل مقابلة للعدو الصهيوني تهدف إلى تصعيد الخلافات والمزيد من التعقيدات في علاقات المسلمين ـ دولاً وأفراداً ـ بعضهم بعضاً، وما يبذله من جهد ومال في سبيل ابعاد المواقف المشتركة عن واقعهم السياسي والفكري والاجتماعي والأمني لأجل ضمان المناخ المناسب له لتمرير مخططاته عبره.

فالوحدة بين العرب والمسلمين مدرجة في قائمة الممنوعات السياسية الغربية ـ الصهيونية منذ امد بعيد، والتقارب بين البلدان العربية والاسلامية يمثل خطاً احمر في السياسة الدولية الأميركية القائمة على معادلات خاصة تؤكد دائماً اسقاط مصالح العرب والمسلمين لحساب مصالح الولايات المتحدة وربيبتها اسرائيل. الأمر الذي يجعل «الوحدة» بين الجماهير الاسلامية في مختلف بقاع الأرض وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط عنواناً واسعاً وخطراً في ساحة الصراع مع العدو على كافة الأصعدة.

ولعل من ابرز عوامل الوحدة بين المسلمين:

أ ـ إقامة صلاة الجمعة والجماعة وصلاة العيد التي تقام في كل بقعة من بقاع الأرض التي يسكنها المسلمون أو يتواجدون فيها، وإن كان الوسط الجماهيري مسيحي التدين أو يهودي أو غيرهما.

اذ أنّ اصطفاف المسلمين على كافة مشاربهم وثقافاتهم ومستوياتهم العلمية والاجتماعية يخلق حالة خاصة يمكن ان تقارب من وجهات النظر من خلال تبادل الاحاديث والأخبار الحادثة الراهنة، وهم في وسط طقوسي عبادي روحي يُقرب إلى الله زلفى، فيعين على التآلف والتوادد، ويزيل البغضاء إلى اقصى حد ممكن.

ولعل هذا هو الهدف الذي من أجله حثّ الشارع المقدس على الالتزام بصلاة الجماعة في المساجد، وحضّ المسلمين على المداومة عليها دون انقطاع في روايات وأخبار كثيرة.

ب ـ اقامة المؤتمرات المخصصة للبحث والدراسة في المسائل ذات

العلاقة بهذا الاتجاه، لما تلعبه هذه المؤتمرات من دور حيوي على اكثر من صعيد:

* برمجة اسلوب العمل وحيثيات تنظيمه.

* توجيه اهتمام الأمة واستقطابه باتجاه الأزمات الراهنة التي تحيط بها.

* ايجاد التفاعل الحركي وبلورته على ارض الواقع.

* تحديد الأزمات المستجدة، وتشخيص خطوطها العامة لغرض التعرف على عمقها ومقدار خطورتها.

* توجيه الخطاب السياسي والفكري والاجتماعي والثقافي والعلمي وحتى الأمني من خلاله بحيث يمكن اطلاق مفرداته في سبيل «تحريك» العناوين المشتركة بين العرب والمسلمين.

* فتح الحوار السياسي الحيوي الواسع بين الأطراف العربية الإسلامية لغرض صبّها في خطّ الصراع الحقيقي والمواجهات المصيرية.

* توجيه كافة الاستعدادات والامكانيات والقدرات لمواجهة العدوّ الصهيوني وعملائه في حرب متعددة الاغراض والأهداف.

* دفق القضية بالحيوية والروح النابضة بالحياة لتعيشها الأمة بكل جوارحها وتدرجها ضمن همومها.

فإقامة المؤتمرات الدورية المستمرة، ودعوة الثلّة المؤمنة والغيورة من كافة الشرائح الثقافية والفكرية والعلمية المختلفة، انّما هو تشكيل حيوي يقوم بلا شك بدوره الفعال ضمن عمليات المواجهة والتصدي لكل المؤامرات التي تحيكها المراكز الغربية الاميركية والدوائر الصهيونية العالمية التابعة لها في دهاليز وكالاتهم الاستخباراتية السيئة الصيت لاحتواء الأمة الاسلامية، وامتصاص خيراتها وثرواتها التي منّ الله تعالى بها عليها.

الهوامش:

(١) ضمن خطاب لوزير الثقافة اللبناني في مؤتمر «الغزو الصهيوني» الذي انعقد في لبنان بتاريخ ١٩٩٤/١/١م.

(٢) صحيفة «الشرق» القطرية الصادرة في ١٩٩٤/٤/٢٩م.

(٣) نشرته صحيفة «الحياة» اللبنانية بتاريخ ١٩٩٦/٤/٢٠.

(٤) صحيفة «النهار» الصادرة في تاريخ ١٩٩٤/١٠/١م.

(٥) نشرته صحيفة «نداء الوطن» بتاريخ ١٩٩٤/١٠/٤.

(٦) مجلة «المجتمع» الكويتية العدد ٩٩ الصادرة بتاريخ ١٩٩٤/٥/١٠م.

(٧) مجلة «المجتمع» الكويتية التي تقدم ذكرها.

(٨) صحيفة «الحياة» اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٩٩٤/٦/١١م.

(٩) نشرته صحيفة «نداء الوطن» الصادرة في تاريخ ١٩٩٤/١٠/٤ ضمن سلسلة تقارير «هدى الحجرجاوي» من القاهرة.

(١٠) سفر التكوين: الاصحاح السابع عشر، رقم ٨ و٩.

(١١) «العنصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها» خليل حسونة: ٦٥ ط ليبيا.

(١٢) المرجع السابق: ٧١ ـ ٧٢.

(١٣) المرجع المتقدّم: ٧٣ ـ ٧٤.

(١٤) نقلاً عن «العنصرية الصهيونية»: ٥٢.

(١٥) نقلاً عن «الصراع العربي ـ الاسرائيلي» اصدارات المؤتمر الدائم لمناهضة الصهيونية: ٢.

(١٦) ضمن الخطاب الذي ألقاه في دمشق بتاريخ ١٩٥٩/٣/١٤م.

(١٧) نقلاً عن «القضية الفلسطينية» لعز الدين الحافظ وآخرين: ٣١ ط. الخرطوم ١٩٦٨م.

(١٨) «الصراع العربي ـ الصهيوني» من اصدارات المؤتمر الدائم لمناهضة الصهيونية: ٦ وما بعدها.

(١٩) الخبر نشرته صحيفة «الاهرام» القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٩٤/١٠/٧م.

(٢٠) ورد نصّ البيان في الكتاب الأول للمؤتمر الدائم لمناهضة الغزو الثقافي.

(٢١) ضمن سلسلة تقارير «هدى الحجرجاوي» التي تنشرها صحيفة «نداء الوطن».

(٢٢) من مقال نشرته مجلة «العالم» العدد ٦٦٠ بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٧م.